(٨) مفجّرات الصراع

د. القرضاوى يفسر أخطر أحداث التاريخ:

- ثورة ٢٣ يوليو تؤيد الإسلام عقيدةً لكنها رفضته شريعةً ومنهاجاً.
- مازالت الثورة تحكم مصر حتى الآن بأيديولوجيتها العلمانية، لكنها علمانية غير متطرفة كتونس وتركية.
- أيد الإخوان إنجازات الثورة الاجتماعية لكنهم تحفظوا على تطبيقاتها.
- تبنِّى الثورة للقومية العربية بمحتواها الاشتراكى العلمانى عجَّل بصدامها مع الإخوان.
- نعم تعاطفت الجماهير مع عبد الناصر، وهبَّة ٩ يونيو كانت تأثراً عاطفياً.
- الثقة المطلقة والمال السايب سبب استبداد جمال عبد الناصر.
- تعدد الأحزاب ضرورة فى هذا العصر وهى المذاهب فى السياسة.
- معارضة البنا للأحزاب اجتهاد منه فى زمنه، ولا أرى بأساً من مخالفة اجتهاده اليوم.
- لا مانع من قيام حزب للأقباط، وعلى الأحزاب الإسلامية أن تتسع لغير المسلمين.
- تبنِّى الحركات الإسلامية للعمل السياسى دليل على الحيوية والتجدد، ووجودهم الرسمى أمر مطلوب بدلاً من العمل السرى.

obeikandl.com

(٨) مفجّرات الصراع

الإخوان والثورة قصة مثيرة فيها من الغموض، كما فيها من الوضوح؛ فبينما يرى الثوار أن الثورة لم تكن ملكاً لأحد، وكانت ثورة شعب كامل بكل طوائفه واتجاهاته؛ يصر الإخوان المسلمون أن لهم يداً فى هذه الثورة كانت تؤهلهم للشراكة فيها .. الماضى بكل جراحه ينفصل عن الحاضر، الذى يضئ المستقبل، ورغم النشأة الإخوانية للعلامة القرضاوى، إلا أن استقلاليته المعاصرة تشجعنا على التعامل والتحاور معه شاهداً ومفسراً لأحداث أحسبها هامة فى تاريخ مصر.

• هل لثورة ٢٣ يوليو فى رأيك عداء للإسلام يدفع الإسلاميين إلى اعتبارها ثورة علمانية ؟ ويوجب خلافها مع الإخوان كل هذا الاختلاف؟

الإسلام عقيدة وشريعة، وثورة يوليو لم يكن لها موقف عدائى من الإسلام كعقيدة، لكنها اتخذت موقفاً من الإسلام كشريعة، والإسلام كما نعلم جميعاً عقيدةً وشريعةً، دين ودولة، وقد رفضت الثورة الإسلام كمنهاج يصبغ الحياة العامة ... واختارت القومية العربية كأساس أيديولوجى للحياة.

• هل يمكن اعتبار الأمر مجرد تاريخ، وهل ترون أن الثورة قد انتهت بموت عبد الناصر، أم مازالت بفكرها وطرحها حاكمة لمصر؟

مازلت أرى أن ثورة ٢٣ يوليو هى التى تحكم مصر حتى الآن.

• هذا أمر تقديرى .. هل هناك دليل على ذلك ؟

نعم .. هذا هو الأمر الواقع من خلال المبادئ، ومن خلال الامتداد، فالعسكر هو الذين يحكمون مصر، كما أن الأيدلوجية العلمانية هى القائمة.

علمانية قريبة

• لكن العلمانية التى ترونها لا تنفى اهتماماً من الثورة بالشأن الدينى أو الإسلامى ؟

علمانية مصر من أنواع العمانية القريبة، وليست علمانية متطرفة مثل تلك التى فى تونس وتركية، فالعلمانية فى مصر ليست من النوع الذى يرفضه الإسلام، وهو النوع الذى

يعتبر الصلاة وكأنها جريمة كما فى تونس، والحجاب جريمة. والأخت التى ترتدى الحجاب لا تدخل مدرسة أو تحصل على وظيفة حكومية أو تعالج فى مستشفى للعلاج أو الولادة .. مثل هذا التطرف العلمانى المغالى ليس موجوداً فى مصر.

إنجازات ومظالم

• كيف تُثمِّن إنجازات الثورة على الصعيد الاجتماعى؛ حيث كانت متفقة مع الإسلام ؟

رحَّب الإخوان المسلمون بإنجازات الثورة الاجتماعية، وناقشوها، حيث إن أول من دعا إلى مثل هذه الإنجازات هو الشيخ محمد الغزالى رحمه الله الذى دعا من قبل إلى تحديد الملكية، ورغم أن الإخوان باركوا هذه الإنجازات، إلا أنهم كانوا يملكون وجهة نظر أخرى فى الشأن نفسه، فتحديد كم الملكية لم يكن متفقاً مع وجهة نظرهم، كما أن تطبيق هذه الإنجازات الاجتماعية اقترن ببعض المظالم.

• ما هى طبيعة تلك المظالم ؟

أُهين كبار الملاك فى دورهم، وعوملوا معاملة ظالمة قاسية، وتعرض أصحاب الأراضى الزراعية لظلم كبير .. كما أن ضباط الثورة- بعضهم- قد استفاد من هذه الممتلكات، وقد كتبت وكشفت مثل هذه الأمور.

• ألا ترى أن الإقطاع مارس مع الفلاحين أسوأ من هذه المظالم التى لحقت بالكبار فى ظل الثورة ؟ وألا ترى أن مجانية التعليم قد أتاحت للبسطاء أن يحصلوا على حقهم فى التعليم؟

مجانية التعليم اتجاه بدأ قبل الثورة، وليس ابناً للثورة، فقد دعا إليه طه حسين وهو وزير فى حكومة الوفد وقال: " ينبغى أن يكون التعليم كالماء والهواء " وقد وسعت الثورة أمر مجانية التعليم، لكن الشعار والاتجاه كان موجوداً .. ونحن نرحب بهذا، كما نرحب بكل ما أنجزته الثورة، لا ننكره؛ لكن شوائب عدة قد حملت مظالم اقترنت بإنجازاتها.

• ما هى الإنجازات الأخرى التى رحَّب الإخوان بها ؟

حينما أعلن جمال عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس، وكان ذلك بعد خروجنا من السجن الحربى بشهر (خرجنا فى ١٦ يونيو ١٩٥٦م)، بعدها أحتُفل بعيد الجلاء، ثم كان

التأميم فى ٢٦ يوليو .. وقد أيَّد الإخوان خطوة التأميم، بل وذهب بعض الإخوان ليتطوعوا فى جهات التطوع، وسلَّموا أنفسهم بالفعل لها ناسين جراحاتهم وآلامهم .. كما أحضرونى من قريتى لأقوم بتوعية الناس وأشعل الروح المعنوية.

أذكر أننى خطبت خطبة عصماء فى جامع الزمالك بعد قيام الوحدة مع سورية، وقد وفقنى الله عزَّ وجلَّ فى الكلام عن الوحدة وأهميتها، وما قامت به فى التاريخ، وما يمكن أن تقوم به فى الحاضر، وجاء بعض الضباط لحضور خطبتى وقالوا: والله هذه الخطبة كان يجب أن تُسجل وتُوزع على مستوى الجمهورية، وكان محمد أنس الحجاجى حاضراً وهو من الأقصر ومن أدباء الإخوان وكان متيماً بحب حسن البنا فعلق قائلاً: حتى تعرفوا أنه لا يقوم مقام الإخوان أحد فى مثل هذه القضايا .. إنى أبارك كل إنجاز وأرحب به.

الصراع بين الثورة والإخوان

• هل يمكن أن تدفعنا التوافقية بين الثورة والإخوان إلى التساؤل عن الصراع مرة أخرى فمن منظور فكرى لم يكن الخلاف فكرياً كبيراً بين الإخوان والثورة حتى مع القول بعلمانية الثورة كما ذكرت، وهل ترى القومية مضادة للإسلام لحدوث الصدام بين الثورة والإخوان ؟

إذا كنت قلت بعلمانية الثورة، فإنه ليس لدى ما يمنع من الإيمان بالقومية العادية التى تكون منها القومية العربية، فصلة القومية العربية بالإسلام قوية، فالعربية لسان الإسلام، والعروبة وعاء الإسلام، ورسول الإسلام عربى، وكتاب الإسلام عربى، والأرض التى أنطلق منها الإسلام عربية، والصحابة هم الذين نشروا الإسلام فى العالم، وحفظوا لنا القرآن، ورووا لنا السنن، هم من العرب .. والمساجد الكبرى فى الإسلام فى أرض العرب: المسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى، فالصلة بين العروبة والإسلام قوية، لكن المشكلة هى أن القومية فى ذلك الوقت ارتدت لباساً علمانياً، حتى اعتبرها بعضهم نبوة جديدة (أشار بعضهم إلى أنها أديان بغير وحى).

• من أى المنطلقات إذاً جاء الصدام الفكرى ؟

لقد أراد أصحاب القومية- بصيغتها كنبوة جديدة- طرحها مضادة للفكرة الإسلامية، وهنا مصدر الخطر، كما أنهم أعطوها مضموناً اشتراكياً علمانياً، وهو مابدا واضحاً فى الميثاق الوطنى الذى وصفه بعضهم بأنه قرآن الثورة.

إن القومية العربية المضمنة بالمحتوى الاشتراكى المستند إلى كثير من الأفكار الماركسية، هو الذى أعطى الثورة هذا الوجه الذى كان مناقضاً للإسلام.

• رغم كل ذلك، فإن قائد الثورة جمال عبد الناصر – مهما اختلفت معه – كان على صلة طيبة بالإخوان أول الأمر.

فى بداية الثورة أنشئت صحيفة الجمهورية، كان قادة الثورة يكتبون فيها كلمة كل يوم، مثل السادات وصلاح سالم، وأذكر أن عبد الناصر كتب كلمة قال فيها: لماذا يبدأ الناس صالحين ثم ينقلبون مستبدين ؟ ومثّل لذلك بالملك فاروق الذى كان الناس يحبونه ويهتفون بحياة الملك الصالح، والأمر نفسه مع مصطفى النحاس، فقد بدأ رجلاً صالحاً والتف حوله المصريون .. وذكر جمال عبد الناصر عدداً من الشخصيات بدأت صالحة وانتهت بنوع من الاستبداد والطغيان، ثم قال: أظن أن السبب فى ذلك يرجع إلى ما يقوله المصريون وهو الشعب نفسه، هو الذى يُمكّن هؤلاء، فالشعب عندنا يقول: " المال السايبُ يُعلّمُ السرقة "، والحكمة تقول: " الثقة المطلقة تُعلّم الطغيان "، ويبدو أن المال السايب والثقة المطلقة التى أعطيت لعبد الناصر هى التى دفعت به إلى الاستبداد والطغيان نفسه الذى حذّر منه أول عهده بالحكم.

عبد الناصر والجماهير

• إذا كان عبد الناصر مستبداً – كما ترون – فكيف تعللون حب الجماهير وخروجهم فى جنازته ؟

لا شك أنه كانت هناك جماهير تحبه وتتعاطف معه، والشعب المصرى شعب عاطفى؛ ولقد مات عبد الناصر فجأة، (اتاخد غدر) كما يقول المصريون، ولقد تأثر الناس بهذا، ومن رأيى أنه هبَّة الجماهير التى يقولون عنها ٩ يونيو كانت تأثراً عاطفياً من الناس، أن ظهر عبد الناصر بنفسه وقال: أنا أتحمل المسئولية كاملة .. بصوت فيه الحزن والتأثر.

• لكن أدبيات الإخوان ترى خروج الناس فى ٩ يونيو ١٩٦٧م كان بأمر من السلطة ؟

صحيح أن هناك خطة كانت، لإخراج الجماهير؛ لكن آخرين قد خرجوا تلقائياً، فهذا التأثر العاطفى عند الشعب المصرى معروف ولا ينكره أحد.

اجتهادى واجتهاد البنا

● **إذا كان التخلص من الاستبداد – الذى ترى عبد الناصر كان عليه – يأتى بالديمقراطية التى تتخذ من تعدد الأحزاب مظهراً لها، فإن الأستاذ البنا نفسه لم يكن مؤيداً لقيام الحزبية، وتعدد الأحزاب ؟**

قول الأستاذ البنا اجتهاد منه، وذلك لما رأى- فى زمنه- من حياة حزبية كانت سبباً فى تفرقة الأمة فى مواجهة عدوها، وكانت أحزاباً اجتمعت حول أشخاص، دون أهداف واضحة أو مناهج محددة، وقد قال عن رجال الأحزاب فى هذا الوقت وعن زعمائها: إن المستعمر يفرقهم بفضهم عن بعض، ويجمعهم عليه، فلا يقصدون إلا داره، ولا يجتمعون إلا زواره .. ولا أرى بأساً فى مخالفة اجتهاد إمامنا رحمه الله، وربما لو عاش إلى اليوم لرأى ما رأينا، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

التعدد: ضرورة

● **ما هى نظرتك الآن إلى التعددية الحزبية ؟**

التعدد قد يكون ضرورة فى هذا العصر، فإنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة معينة بالحكم والتسلط على الناس .. ولكننا نشترط فى هذه الأحزاب حتى تكتسب شرعيتها أمرين:

الأول: أن تعترف بالإسلام عقيدة وشريعة، ولا تعاديه أو تتنكر له، وإن كان لها اجتهاد خاص فى فهمه فى ضوء الأصول العلمية المقررة.

الثانى: ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته، فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحية أو اللادينية، أو يطعن فى الأديان السماوية عامة أو فى الإسلام خاصة، أو يستخف بمقدسات الإسلام.

وذلك أن من حق الناس فى الإسلام ومن واجبهم أن ينصحوا للحاكم ويقوِّموه إذا اعوَّج، ويأمروه بالمعروف وينهوه عن المنكر، فهو واحد من المسلمين ليس أكبر من أن ينصح ويؤمر، وليسوا هم أصغر من أن ينصحوا أو يأمروا، وإذا ضيعت الأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقدت سرَّ تميزها، وسبب خيريّتها، وأصابتها اللعنة كما أصابت من قبلها من الأمم ممن: ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٩]،

ولكن علّمنا التاريخ وتجارب الأمم وواقع المسلمين أن تقويم اعوجاج الحاكم ليس بالأمر السهل، ولم يعد لدى الناس سيوف يقوِّمون بها العوج، (مشيراً إلى قول رجل لعمر بن الخطاب: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا)، بل السيوف كلها يملكها الحاكم .. والواجب هو تنظيم هذا الأمر لتقويم اعوجاج الحكام بطريقة غير سِلِّ السيوف، وشهر السلاح .. وقد استطاعت البشرية فى عصرنا بعد صراع مرير أن تصل إلى صيغة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتقويم اعوجاج السلطان، دون إراقة للدماء، وذلك عن طريق وجود قوى سياسية لا تقدر السلطة الحاكمة على القضاء عليها بسهولة، وهى ما يطلق عليها (الأحزاب).

- **إذاً كيف ترى فكرة تداول السلطة بين الأحزاب ؟**

إن تكوين الأحزاب أو الجماعات السياسية أصبح وسيلة لازمة لمقاومة طغيان السلطة الحاكمة ومحاسبتها وردها إلى سواء الصراط، أو إسقاطها ليحل غيرها محلها، فيتم التداول.

المذاهب والأحزاب

- **لكن هل يمكننا أن نُفصِّل فكرتك المعروفة عن تعدد الأحزاب واعتبارها كتعدد المذاهب الفقهية فى الإسلام ؟**

ليس معنى تعدد الأحزاب أن يكون مرتبطاً بتعدد أشخاص معينين، يختلفون على أغراض ذاتية أو مصالح شخصية، فالتعدد- على ذلك- مبنى على أساس عنصرى أو إقليمى أو طبقى، أو أى من إفرازات العصبية يبرأ منه الإسلام، إنما التعدد المشروع الذى أجيزه هو تعدد الأفكار والمناهج والسياسات التى يطرحها كل فريق مؤيد بالحجج والأسانيد، فيناصرها من يؤمن بها، ولا يرى الإصلاح إلا من خلالها، وتعدد الأحزاب فى مجال السياسة هنا أشبة شئ بتعدد المذاهب فى مجال الفقه، فالمذهب الفقهى مدرسة فكرية لها أصولها الخاصة فى فهم الشريعة والاستنباط من أدلتها التفصيلية فى ضوئها، وأتباع المذهب هم فى الأصل تلاميذ فى هذه المدرسة يؤمنون بأنها أقرب إلى الصواب من غيرها، وأهدى سبيلاً، فهم أشبه بحزب فكرى التقى أصحابه على هذه الأصول، ونصروها بحكم اعتقادهم أنها أرجح وأولى، وإن كان ذلك لا يعنى بطلان ما عداها، ومثل ذلك المذهب يوجد الحزب، إنه مذهب فى السياسة، له فلسفته وأصوله ومناهجه المستمدة أساساً من الإسلام

الرحب، وأعضاء الحزب أشبه بأتباع المذهب الفقهى، كل يؤيد ما يراه أولى بالصواب، وأحق بالترجيح.

الإسلاميون والديمقراطيون

• هل تثمنون توجه الإسلاميين مؤخراً للعمل الديمقراطى، وخروجهم من نطاق العمل السرى إلى العمل السياسى العلنى، بما فى ذلك الاشتراك فى الأحزاب ؟

الحركة الإسلامية كائن حى يتفاعل مع المجتمع، ومع العالم من حوله، ويتجاوب مع الأحداث، ولا يمكن أن تعيش الحركة فى قمقم معتزلة ما حولها وما يجرى من قريب ومن بعيد فى عالمها الخاص وعالمها العام، ولذلك تتطور الأفكار والرؤى ما بين حين وآخر، ونحمد الله أن تبنى عدد من الحركات الإسلامية التوجه إلى العمل السياسى، إنه دليل على الحيوية، ومادامت هذه الحركات قادرة على أن تطور نفسها، وأن تغيِّر من رأيها، فهذا دليل على التجدد .. إننى أحيى وأبارك هذا التوجه من الشباب نحو العمل السياسى الديمقراطى، وأرى أنه التوجه الصالح للتعامل مع الحياة المعاصرة، ومع المعطيات الفكرية والسياسية والإقليمية والدولية والمحلية.

أى قانون هذا ؟

• لكن القانون القائم يرفض قيام حزب دينى، كما أن هناك خشية من أن يطالب المسيحيون بحزب لهم ؟

أى قانون ؟ البشر هم الذين يضعونه، فى بعض البلاد أجيز هذا .. الوجود الرسمى للإسلاميين أمر مطلوب بدلاً من أن يعملوا فى السراديب وتحت الأرض، بعيداً عن الأعين، ليظهروا أمام الناس، وليعملوا علناً، وعلى مرأى ومسمع، حتى تنكشف أمورهم، فيقال لهم: أصبتم، أو أخطأتم، ولهذا فإننى أطالب السلطات فى بلادنا العربية والإسلامية بالتجاوب مع هذا التوجه.

أما الأقباط فلا خوف من أن ينشئوا حزباً، فلينشؤا حزباً، وأنا أرى أن هذه الأحزاب الإسلامية يجب أن تتسع لغير المسلمين، وكان من المؤسسين فى حزب الوسيط د. رفيق حبيب: فأنت تعرض مفاهيم فى إصلاح المجتمع، من قِبَلِ هذه المفاهيم فهو معك سواء أكان مسلماً أم مسيحياً.

الشيوعية والمجتمع

● **كأنك بذلك لا تمانع فى وجود حزب شيوعى أيضاً ؟**

لا مانع فى ذلك، وأن يعرض على الناس، إذا كان المجتمع يقبل بالشيوعية، فمعنى ذلك أن هناك خللاً بالمجتمع، ونتوجه للمجتمع ونصلح من وعيه، فالحزب يحيا ويموت بالناس، إذا كان له أنصاره وقاعدته الجماهيرية والشعبية يستطيع أن يحيا، وإذا لم يكن له ذلك مات وأندثر.

● **فى رأيكم هل صورة العمل الشبابى يمكن أن تتوجه نحو الحزب السياسى، لينتهى بذلك عصر الانتماء إلى جماعة معينة فى القرن الجديد ؟**

مفهوم العمل الجماعى

أرى أولاً أن العمل لخدمة الإسلام ونصرة قضاياه فى هذا العصر لا يتم بالعمل الفردى، ولا بالجهود المبعثرة، لابد من عمل جماعى، وهو فى نظرى فريضة وضرورة: فريضة يحتمها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، فالدين يأمرنا أن نعتصم بحبل الله جميعاً، ولا نتفرق: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]، و" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً "، و" يد الله مع الجماعة "، فالدين يأمرنا بأن نتجمع حتى نؤثّر، وهناك ما يسمى الآن فى الاقتصاد (بالإنتاج العريض)، حيث إن الإنتاج الصغير ما عاد يستطيع أن ينافس أو يقدر على عمل شئ أمام القوى الكبرى المنتجة، فالعمل الإسلامى أيضاً فى حاجة إلى عمل عريض .. ولذلك أقول:

إن الواقع يحتم علينا أن نحقق أهدافاً كبرى تحرر الأوطان المستعبدة، وتقاوم الأخطار الأجنبية، وتوحد الأمة الممزقة، وتحقق آمال الأمة فى العدالة الاجتماعية، فى الحرية، فى إقامة نظم شورية ترعى حقوق الإنسان وحرماته .. وهذا لا يمكن أن يتحقق بعمل فردى أو بجهود ضعيفة.

● **ماذا تعنى بالعمل الجماعى تحديداً ؟**

العمل الجماعى يعنى أن تنشئ جمعية أو مؤسسة أو رابطة أو اتحاداً.

● **إذاً ليس شرطاً أن يكون العمل الجماعى سرياً، كما ألحظ فى أدبيات الجماعات الإسلامية ؟**

بالعكس .. يجب أن يكون العمل الجماعى علنياً، فالأصل فى العمل أن يكون علنياً، وكل ما نشكو منه هو السرية، ولذلك نقول: لماذا تجبرون العمل الإسلامى إلى أن يعمل سراً ؟ دعوه يعمل فى الهواء الطلق، افتحوا النوافذ لتهب منها النسمات.

❖ ❖ ❖

obeikandl.com